ومن هذا الركن ايضا يتوصل زاندر الى رأيه القائل بان الخطر الذي احاط ويحيط الكنائس الفلسطينية هو ليس فيمن يحكمها وانما فيمن يتبعها ، ليس في المسلمين او اليهود وانما في المسيحيين انفسهم . ويريد بذلك النزاع الطويل بين اللاتين والارثوذكس. ويستشهد هنا بوقائع مختلفة عن توقف اصلاح هذه الكنائس او ترميمها او تطويرها او تزويقها بسبب هذا النزاع . ويذهب الى اكثر من ذلك فيروي كيف تحولت مذابح هذه الكنائس الى مذابح حقيقية اقتتل فيها الرهبان والقسس بالشموع والشمعدانات بل وبالصلبان ايضا . ويعطي المؤلف جزءا كبيرا من كتابه لتاريخ هذا النزاع ويزودنا فيه بثروة نادرة من المعلومات والوثائق ولكن دون ان يلمس في سرده الوتر النابض لهذا الخلاف . سبب النزاع عند ولتر زاندر مرجعه اختلاف في المدرسة الفلسفية لليونان وايطاليا . وهو سبب يتطلب سببا . النزاع للسيطرة على شرقي البحر المتوسط والطريق الى اسيا وغير ذلك من الاعتبارات الاقتصادية السياسية امور لم تخطر على بال المؤلف مع الاسف . ويستطرد زاندر في ذكر المحاولات المختلفة التي جرت للتوفيق بين الطرفين وتوحيد الكنيسة المسيحية ويفرد صحائف طويلة للوثائق المتعلقة بالموضوع وينتهي بالاشادة بمحاولة البابا حاليا لتحقيق هذا التفاهم . وهكذا وبهذه السهولة تصبح مشكلة الاماكن المقدسة مشكلة تتعلق بتوحيد الكنيسة المسيحية ولا علاقة لاسرائيل او حكمها بالموضوع .

وبعد ان يستميح القارىء عذرا في تركه جانبا مسألة التوسع الاسرائيلي وضم المنطقة الى اسرائيل ، يخلص الى البديل المقترح للحكم الاسرائيلي ، الا وهو وضع الاماكن المقدسة تحت ادارة دولية (المشروع الذي يلح عليه الفاتيكان). ويعمد زاندر الى رد فكرة التدويل لعدة اسباب منها سبب لا جدال في طرافته . هيئة الامم المتحدة ليست اهلا للتصرف بالاماكن المقدسة المسيحية لان اكثر اعضائها غير مسيحيين . ولكنها كانت اهلا لهذا التصرف عندما قسمت فلسطين في ١٩٤٨ لان اكثر اعضائها كانوا مسيحيين عندئذ . وطبعا وبالتبعية يمكننا ان نقول انها لا ولن تصبح اهلا للتصرف في القدس لان اكثر اعضائها لن يكونوا من اليهود . ولم كل هذه الضوضاء ، يقول المؤلف . فلسطين لا تعني كثيرا للمسيحيين . الم يقل القديس غريغوري ان الله يوم القيامة لن يسأل عباده ما اذا كانوا قد حجوا الى القدس ام لا ؟ الحج ركن من الاسلام واليهودية ولكنه ليس كذلك بالنسبة للمسيحية . وعندما غزا نابليون فلسطين توجه الى عكا وترك القدس وراءه . ولكن ولتر زاندر ليس كاتبا اعلاميا عربيا ليكتفي بهذا الجانب ويسدل الستار على الجانب الاخر فمضى ليستشهد بالقديس جيروم الذي قضى الثلاثين سنة الاخيرة من حياته في الديار المقدسة مؤمنا بان الوقوف حيث وقف المسيح جزء من العبادة .

ومن الافكار الغريبة التي يسوقها زاندر اعتقاده بان موسكو ستصبح في المستقبل روما الثالثة بالنسبة للكنيسة ويستشهد بالاهتمام الذي يوليه الاتحاد السوفيتي للكنائس والممتلكات الدينية الروسية الموجودة في الاراضي المقدسة في الايام الاخيرة . ومن يدري ، أفليست هذه ارض المعجزات ؟ ام هي يا ترى نقطة اعلامية اخرى تعذر علي فهمها ؟

وينتهي الكتاب بستة ملاحق لمذكرات ونصوص مختلفة تتعلق بالاماكن المقدسة المسيحية ومكانتها بين المسيحيين والنزاع حولها ومن ذلك الفرمان العثماني لعام ١٨٥٢ وقرارات حكومة الانتداب — كل هذا بالاضافة الى الاقتباسات الطويلة التي يوردها المؤلف في صلب الكتاب الى حد مميل احيانا ومشوش احيانا اخرى . ويصبح هذا المنحى مضيعة بالفعل عندما يكون الاقتباس من احد الملاحق المثبتة في اخر الكتاب على اي حال . ولكن هذه العيوب قد تبدو ابشع من حقيقتها بالنسبة للناقد الذي يراكض عقارب الساعة ، في حين سيجد الباحثون في الموضوع والمتفرغون له طعاما سمينا في المعلومات القيمة التي يسوقها المستر زاندر في عرض كلامه . والاكثر من ذلك ان مثل هؤلاء القراء هم الجمهور الذي فكر فيه عند كتابته كتابه . براعة زاندر الاعلامية تتجلى في استعماله وتسخيره للمعلومات والنصوص للوصول الى نتيجته المرسومة مقدما . ومن ابرع استعمالاته الاعتماد على النصوص العربية وتصريحات الحكومة الاردنية ومذكراتها في الرد على التدخل الدولي في مصير الاماكن المقدسة وتثبيت اهلية الحاكم الفعلي في التصرف والادارة . الحاكم الفعلي كان الملك عبد الله . الحاكم الفعلي الان غولدا مئير . ويحك ايها التاريخ ، ما افظعك .

خالد القشطيني